

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

النوع السابع عشر .

معرفة تداخل اللغات .

قال ابن جنى في الخصائص : إذا اجتمع في الكلام الفصح لغتان فصاعداً كقوله : - من البسيط - .

(وَأَشْرَبُ الْمَاءَ مَا بِي زَحْوَهُ عَطَشٌ ... إِلَّا لَأَنَّ عِيُونَهُ سَالَ وَاْدِيهَا) .
فقال : نحوه بالإشباع وعيونه بالإسكان فينبغي أن يُتأمل مَلَّحَ حال كلامه فإن كانت اللفطتان في كلامه متساويتين في الاستعمال وكثرتهمما واحدةٌ فأخلاق الأمر به أن تكون قبيلته توافقت في ذلك المعنى على دينك اللطيفين لأنّ العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها .

ويجوز أن تكون لغته في الأصل إحداها ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهدُه وكثر استعماله لها فلاحقت - لطول المدّة واتساع الاستعمال - بلغته الأولى وإن كانت إحدى اللفظتين أكثر في كلامه من الأخرى فأخلاق الأمر به أن تكون القليلةُ الاستعمال هي الطارئة عليه والكثيرةُ هي الأولى الأصلية .
ويجوز أن تكونا مخالفتين له ولقبيلته وإنما قلّلت إحداها في استعماله لضعفها في نفسه وشذوذها عن قياسه .

وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظٌ مختلفة فسُمعت في لغة إنسان فعلى ما ذكرناه كما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك .
وكما تنحرف الصيغة واللفظ واحد كقولهم : رَعْوَة اللبن ورُعْوَتَه ورغاوته كذلك مثلثاً .

وكقولهم : جئت من عَلٍّ ومن عَلٍّ ومن عَلَلا ومن عُلُوٍّ ومن عُلُوٍّ ومن عِلْوٍّ ومن عالٍ ومن مُعَالٍ فكل ذلك لغات لجماعات وقد تجتمع لإنسان واحد .

قال الأصمعي : اختلف رجلان في الصقّر فقال أحدهما : بالصاد وقال الآخر : بالسين فتراضيا بأوّل واردي عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال : لا أقول كما قلتما إنما هو الزقور وعلى هذا يتخرّج جميع ما ورد من التداخل